يميت ويحـــــيى

المسرح منقسم إلى قسمين. قسم أمامى وهو حوالى ثلثى المساحة وهو مضاء واضح المعالم. فى وسطه نخلة مغروسة، وفى جانب منه ساقية صامتة، القسم الخلفى مرتفع الدرجات على هيئة مصطبة، تغشاه الظلمة، وتلوح به أشباح راقدة، نيام أو موتى. الطابع طابع تجريدى.

يُرفع الستار. على المسرح فتاة جميلة تسير ذهابا وجيئة بين النخلة والساقية. ثوبها يناسب الجو التجريدى حيث يصعب تحديده على أساس جغرافى وكذلك ثياب جميع من سيظهرون على المسرح.

ومع ارتفاع الستار تترامى أصوات معركة بين اثنين آتية من ناحية اليسار. شتائم وتهديدات وأصوات ضرب.

الفتاة : يارب السماوات.. متى تختفى هذه الأصوات من الوجود؟.. متى تشرق شمسك على أرض ناعمة البال، قريرة العين؟

(تصغى إلى الأصوات بقلق متزايد ثم تقول)

ترى هل أكفر عن ذنب قديم؟ أو إنه بلاء مركب فى دمى؟ أو إنها أخطاء تقع فلا تلقى إرادة صادقة لإصلاحها؟

(يتقهقر شخص مندفعا بعنف، نتيجة لدفعة قوية تلقاها فى

الخارج، ثم يسقط تحت النخلة مغمى عليه. الفتاة تنحنى فوقه باهتمام وتربت على خده بحنان. يفتح عينيه. ينظر إليها ثم يغمض عينيه مرة أخرى مغمغما)

الفتى : أبي!

(تربت على خده بحنان، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما)

: أمي!

(تربت على خده بحنان، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما)

: زوجتي!

الفتاة : شد حيلك.

(تدلك خديه. يفتح عينيه مفيقا. ينظر إليها طويلا ثم يتمتم)

الفتى : أنت!

الفتاة : حمدا لله.. قم.. اعتمد على ذراعي..

(تقيمه.. تمسح بمنديل جبينه وتسوى له شعره.. وهو يأخذ في التماسك شيئا فشيئا)

: لعلك أحسن..

(الفتى لا يرد ولكنه يعاود حالته الطبيعية)

: تنفس بعمق فالجو اليوم طيب.

الفتى : لا شيء طيب على الإطلاق.

الفتاة : الجو طيب على الأقل، هدئ خاطرك.

الفتى : هيهات أن يطيب بعد اليوم جو أو خاطر.

(تشده برقة إليها في دلال).

الفتاة : تعال إليّ، أنا لا أعرف اليأس.

(تحتد فى عينى الفتى نظرة ولكنه يتراجع فى حياء أمام نظراتها الحنونة).

الفتى : لست على حال أهنأ معها بعطفك، معذرة.

الفتاة : ليتك تقنع بصدرى ملاذا لك من متاعب الدنيا.

الفتى : ليت ذلك فى الإمكان.

الفتاة : إنه ممكن إذا أردته.

الفتى : **(متحسسا رأسه وعنقه فى تألم)** إنه مستحيل أردت أم لم أرد.

الفتاة : إنها اللعنة القديمة التى تطارد التعساء.

الفتى : الحق إنها تطارد الأحياء.

الفتاة : وعلى الأحياء أن يحذروها، إنى أدعوك إلى السعادة الحقيقة فى الوجود.

الفتى : حتى السعادة تنقلب أحيانا بين أيدينا ترابا وخجلا.

الفتاة : يا لك من جاحد!

الفتى : لا أنكر عهدك، ولكنى أخشاه، أخشاه فى لحظة اندحارى الراهنة، وأراه من موقفى الدامى ذا جاذبية مخيفة تعمى البصر.

الفتاة : أهذا شعورك نحو تفتح القلب وتألق الأزهار وجنى الثمر؟!

الفتى : بل إنى أذكر مع الأسى ثقل الجنون، وترهل العضلات واسترخاء الهمم.

الفتاة : دعنى أكرر أن ليتك تقنع بصدرى ملاذا لك من متاعب الدنيا.

الفتى : يا له من جمال دافئ قهار. أقوى من الموت نفسه، ولكن تلاشت فى أحضانه أحلامى.

الفـــتـــاة : إنه أنفع من أحلامك .

الـفـــتـى : سيظل الجبن أكبر منغص لصفو الرجال .

الفـــتـــاة : من عجب أن تحن إلى فظاظة الخلاء !

الـفـــتـى : أحن حقا إلى توهج مصباح الحياة على حافة هاوية الخطر الداهم .

الفـــتـــاة : والدم والتشرد والغبار .

الـفـــتـى : بل قوة الاعتداد المسخرة للرياح .

الفـــتـــاة : ولدى زلة قدم يهال التراب على رجل من الرجال .

الـفـــتـى : والصرخات المدوية تتوارى فى أعقابها الفئران فى الجحور ، ولذة التساؤل المفعم بالقلق أمام احتمالات الحياة والموت .

الفـــتـــاة : ووجهك الملطخ بالدماء المثير للرعب .

الـفـــتـى : ونبض القلب بزهو النصر المؤسس على الحق والكرامة .

الفـــتـــاة : أنت أنانى ، زهدت فىّ بعد شبع . وشاقتك رائحة الدماء .

الـفـــتـى : إنى أحبك ولكنى أكره أن أتمرغ فى التراب .

الفـــتـــاة : هذا يعنى أنك لا تحبنى .

(الفتى يشير إلى المصطبة المسربلة فى الظلام حاملة الرقود من الأشباح)

الـفـــتـى : ليكن لى قدوة فى الغابرين .

الفـــتـــاة : لا أحب النظر نحو الموتى .

الـفـــتـى : لكنهم أحياء ما دمنا أحياء .

الفـــتـــاة : فراغ وراءك وفراغ أمامك ، ولا حقيقة فى الوجود سواى !

الفـــــتى : كم استنمت إلى هذا الكلام الآسر حتى داستنى الأقدام .
الفــــتـــاة : لقد أشعلت غضبه بمزاحك .
الفـــــتى : المزاح من آداب حياتنا فكيف يكون جزائى ضربا أليما موجعا !
الفــــتـــاة : طالما حذرتك من المغالاة فيه .
الفـــــتى : ولما أردت الدفاع عن نفسى خذلتنى يداى .
الفــــتـــاة : الرجل المهذب خير عندى من الرجل القوى .
الفـــــتى : صدقت حتى وهنت منى القبضة .
الفــــتـــاة : كان علىّ أن أنتشلك من حياة التشرد فى الخلاء .
الفـــــتى : وهكذا هزمنى وهو يسخر من ضعفى .
الفــــتـــاة : لا تمزق عشرتنا بالكبرياء .
الفـــــتى : إنها تتمزق بالمهانة كما تتمزق بالموت .
الفــــتـــاة : لا شىء كالموت .
الفـــــتى : إنه ليس شر ما فى الحياة .
الفــــتـــاة : صدقنى فإنه العدو الأول للحياة .
الفـــــتى : أيسرك أن أرضى بالهزيمة؟
الفــــتـــاة : ارض بأى شىء إلا الموت .
الفـــــتى : وأعود إلى اللعب السعيد وقلبى يحترق بنار الهزيمة؟
الفــــتـــاة : للزمن بلسم يشفى كل شىء إلا الموت .
الفـــــتى : (مشيرا إلى المصطبة) تعامل أجدادنا مع الموت بعقيدة أخرى فوهبوا الخلود .
الفــــتـــاة : لقد ماتوا وشبعوا موتا .
الفـــــتى : (مخاطبا المصطبة وأهلها) قولوا إنكم خالدون .
(صوت من المصطبة كالصدى) : إنكم خالدون .

الفتـــــاة : لا تخاطب الفراغ كالمجانين .

الفتـــــى : ألا تسمعين؟

الفتـــــاة : إنك تصرخ فى الأموات تبريرا لسفك الدماء .

الفتـــــى : يا له من صوت رهيب!

الفتـــــاة : متى كان للتراب صوت .

الفتـــــى : **(مخاطبا المصطبة)** هل تسمعون ما يقال؟

الصوت ـ الصدى : **(بعد قليل)** هل تسمعون ما يقال؟

الفتـــــى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم؟

الصوت ـ الصدى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم؟

الفتـــــى : **(لا يزال متطلعا إلى المصطبة وكأنما يخاطب نفسه)** إنهم يرددون قولى . . أجل . . ولهذا معنى عميق لا يخفى على لبيب . . وها هم يتحركون . **(يظلون رقودا طيلة الوقت ودون حركة)** . . إنهم يهدون إلىّ صورة عزيزة غابرة . . ها هو القتال يحتدم . . الشهداء يسقطون . . الجنود يتسلقون جدار الحصن كالنمل . . ها قد سقط الحصن . . وهذا هتاف النصر يدوى مخترقا جدار المئين من السنين **(ثم ملتفتا نحو الفتاة)** . . أرأيت . . أسمعت؟

الفتـــــاة : لا شىء يرى ولا يسمع!

الفتـــــى : لقد زلزلنى هتاف النصر فوق جثث الشهداء .

الفتـــــاة : ما هى إلا هواجس رغباتك الجامحة فى القتل .

الفتـــــى : سحقا للخمول فى خمائل الورد .

الفتـــــاة : يا حسرتاه على حكمة الأيام الناعمة!

الفتـــــى : **(مشيرا إلى المصطبة)** لقد لفحتنى أنفاسهم المحترقة حزنا علىّ .

الفــــتــــاة : ليس للأموات أنفاس تحترق .

الـفــــــتـى : إذا مات الأموات أدرك الفناء كل شىء .

الفــــتــــاة : إذا أردت الحياة حقا فلا تنظر إلى الوراء .

الـفــــــتـى : ولكن الوراء هو الأمام!

الفــــتــــاة : ولا تنظر إلى الأمام . .

الـفــــــتـى : (**يقطب محتجا حائرا**) .

الفــــتــــاة : فلتغرق فى عينى توهب خلودا بين الظلمتين!

(**قهقهة ساخرة وحشية تترامى من ناحية اليسار**).

الـفــــــتـى : أتسمعين استفزازه الساخر؟!

الفــــتــــاة : ريح هوجاء يعربد خلالها الشقاء .

الـفــــــتـى : إنه يتحدانى!

الفــــتــــاة : سأغنى لك أغنية ترقص لها الحمائم فاستمع لى أنا!

الـفــــــتـى : فلتطرب العصافير .

الفــــتــــاة : فلتهنأ بك شهوة الدماء .

الـفــــــتـى : إن قهقهته الساخرة تحيل الهواء فى صدرى ترابا .

الفــــتــــاة : خير ما تفعل أن تصم أذنيك .

الـفــــــتـى : ولكنى خلقت بأذنين .

الفــــتــــاة : لتسمع بهما مناجاتى الدافئة .

الـفــــــتـى : يا لها من مناجاة أجهضت همتى . . الوداع . .

الفــــتــــاة : لن تستغنى عنى أبدا .

الـفــــــتـى : فلتكونى الأمل المؤجل حتى يطيب كل شىء .

الفــــتــــاة : لن يطيب شىء بعيدا عن ذراعى .

(**القهقهة الساخرة تترامى من بعيد**).

الـفــــــتـى : الـــوداع .

الفـــتـــاة : انعم بالنوم رغم الضوضاء .
الـفــــــتـى : بل أقضى على الضوضاء قبل أن أنعم بالنوم .
الفـــتـــاة : كلمة أخرى . . لا أريد أن يدركنى اليأس .
(الفتى يضع أصبعيه فى أذنيه. تنظر إليه مليا ثم تمضى إلى الجهة اليمنى).
(الفتى ينظر نحو المصطبة).
الـفــــــتـى : لا يمكن أن يدلنى على حقيقة الحياة إلا شخص أدركه الموت !
الصوت ـ الصدى : المـوت .
الـفــــــتـى : ذهبت . . ولكنها لن تذهب بعيدا . . محال أن أتحرر منها كلية . . ولا رغبة لى فى ذلك . . ولا قدرة لى عليه . . ولكنى أريد الحقيقة . .
الصوت ـ الصدى : الحقيقــة .
الـفــــــتـى : أفصحوا . . لا تتكلموا كما تتكلم الصخور .
الصوت ـ الصدى : الصخور .
الـفــــــتـى : حدثونى عن الموت والحياة .
الـصــــــدى : الحيـــاة .
الـفــــــتـى : من هو البطل؟
الـصــــــدى : البطـــل .
الـفــــــتـى : أهو المحارب؟
الـصــــــدى : المحارب .
الـفــــــتـى : أهو المسالم؟
الـصــــــدى : المســالم .
الـفــــــتـى : اللعنة . . اللعنة . . اللعنة . .

(يتحول الفتى عن المصطبة)

: (صائحا) عليّ أن أستعد . . إليّ بالطبيب . . أيها الطبيب .

(يدخل الطبيب.. بنفس الثياب التجريدية.. ولكنه ذو لحية.. وبيده حقيبة) .

الطبيب : لا تصرخ اتقاء للمضاعفات .

الفتى : وهل تأكدت من مرضى حتى تحذرنى من المضاعفات؟

الطبيب : إننا لا ندعى للأفراح .

الفتى : بل يبدو لى أنى مريض .

الطبيب : إننى أعمل يومين فى اليوم الواحد .

الفتى : ياه!

الطبيب : إنه الوباء . .

الفتى : هل يوجد وباء؟

الطبيب : كأنك تعيش فى قمقم .

الفتى : قمقم من الغم .

الطبيب : وهو ينتشر رغم المقاومة الفنية المنتظمة .

الفتى : لعلكم ازددتم به ثراء على ثراء .

الطبيب : نحن نثرى بفضل الأمراض لا الأوبئة .

الفتى : لكن الوباء ما هو إلا مرض كبير .

الطبيب : الوباء ينتشر انتشارا أعمى فيهدد كبار رجال الدولة ولذلك فهم يسخرون الأطباء لمقاومته فلا نفيد من ورائه خيرا يذكر .

الفتى : أمر يدعو للأسف، ولكننا ندفع ثمن إهمالنا للبيئات الفقيرة القذرة .

الطبيب : الوباء وفد من الخارج كالعادة دائما .
الفتى : ربما ولكنه يستفحل فى البيئات الفقيرة .
الطبيب : استفحل هذه المرة فى البيئات الراقية !
الفتى : ظاهرة غريبة تستحق الدراسة .
الطبيب : لكنك استدعيتنى لأمر أهم من التزود من الثقافة الصحية العامة .
الفتى : عندك حق . إنى أعتقد أنى مريض .
الطبيب : إنى مصغ إليك يا سيدى .
الفتى : لا أعراض خاصة تستحق الذكر .
الطبيب : لعلك ترغب فى إجراء كشف عام؟
الفتى : تقريبا .
الطبيب : إما أنك تريد أو لا تريد فما معنى قولك «تقريبا»؟
الفتى : لا مؤاخذة فهذا ما قصدته بالدقة .
الطبيب : ولِمَ لَم تذكر ما تقصد بالدقة من أول الأمر؟
الفتى : لاَ تشتد فى محاسبتى على أسلوبى فى الكلام .
الطبيب : هل يجرى كلامك على هذا النحو القلق عادة؟
الفتى : تقريبا !
الطبيب : عدنا إلى تقريبا !
الفتى : فلنفترض أن الجواب بالإيجاب .
الطبيب : فلنفترض ! . . ألا تستطيع أن تعبر عما تريد بدقة؟
الفتى : طيب ، إنى أرغب فى إجراء كشف عام .
الطبيب : أسلوبك فى الكلام لا يخلو من دلالة مريبة .
الفتى : عدنا إلى الأسلوب .
الطبيب : إنه أول عرض .

الفتى : عـرض؟!
الطبيب : إنك تحاور وتداور ، ولا تقصد إلى هدفك رأسا .
الفتى : معـذرة .
الطبيب : وهذا هو أول أعراض الوباء .
الفتى : الوبـاء!
الطبيب : أما بقية الأعراض فيمكن استنتاجها .
الفتى : لا أفهم شيئا .
الطبيب : غيـر مهـم .
الفتى : ولكنه مرضى أنا .
الطبيب : إنه وباء فهو ملكية عامة .
الفتى : فليكن ، علينا أن نفهمه على أى حال .
الطبيب : بل عليك أن تتداوى منه .
الفتى : حسن ، فلتحدثنى عن بقية الأعراض .
الطبيب : بل عليك أن تحدثنى أنت .
الفتى : ولكنك قلت إن بقية الأعراض يمكن استنتاجها .
الطبيب : أتريد أن ترسم لى خطتى فى العلاج؟
الفتى : أنا تحت أمرك .
الطبيب : هذا هو العرض الثانى!
الفتى : أين هو؟
الطبيب : بعـد المحاورة والمداورة تصدر جـملة واضـحة محـددة وهى «أنا تحت أمرك» .
الفتى : ولكنها مجرد مجاملة!
الطبيب : هذا ما يخيل إليك ، أما الواقع فإنه العرض الثانى!
الفتى : بهذه الطريقة يمكن أن نعتبر أى عبارة عرضا من أعراض الوباء .

الطبيب : قولك هذا يقطع بعدم ثقتك فى العلم.
الفتى : ولكنى من المتحمسين للعلم . .
الطبيب : **(يهز رأسه فى شك وهو صامت)**
الفتى : **(وهو يشير نحو المصطبة المسربلة بالظلام)** إنى من أصل عريق كان أول من أحرز فى ميدان العلم نصرا.
الطبيب : الإشارة نحو الظلام مقرونة بالمباهاة عرض ثالث من أعراض الوباء.
الفتى : لست من هؤلاء . . إنى بصفة عامة متعصب للعصر الحديث . .
الطبيب : متعصب؟!
الفتى : أقصد أننى متحمس للعصر الحديث، ولا ألتفت نحو الأسلاف إلا تحت ضغط ضرورة ملحة!
الطبيب : وهاك عرضا من أعراض الوباء.
الفتى : إذن فأين يقع السلوك الصحيح؟
الطبيب : إنك لا تدرى عنه شيئا فيما أرى!
الفتى : إنى أجد دوارا فى رأسى!
الطبيب : الصراحة تحدث لك دوارا؟ . . عرض خامس!
الفتى : لعلى بالغت فى التعبير.
الطبيب : من الدوار إلى المبالغة . . عرض سادس!
الفتى : خير ما أفعل أن ألزم الصمت.
الطبيب : من الدوار إلى المبالغة إلى الصمت . . عرض سابع!
الفتى : ها . . ها . . ها . .
الطبيب : دوار، مبالغة، صمت، ضحك بلا سبب . . عرض ثامن . .

الفتى : ها . . ها . . ها . . ها . . ها . .
الطبيب : إغراق فى الضحك رغم التأكد من أعراض الوباء . . عرض تاسع !
الفتى : (يخفى وجهه بين كفيه)
الطبيب : وتخفى وجهك ولكن أعراض الوباء لا تختفى .
الفتى : وماذا يمكن أن أفعل؟
الطبيب : وهذا هو التساؤل الذى يمثل أخطر أعراض الوباء .
الفتى : الحق أنك لا تشخص مرضا ولكنك مصمم على إثبات وجود الوباء .
الطبيب : ها أنت تبدأ بالتهجم على ، ومعنى ذلك أنك تهادن من يتحرش بك وتتحرش بمن يحسن معاملتك . . وهذا هو العرض العاشر .
الفتى : إنك تثير غضبى .
الطبيب : وتغضب حيث يجب الحلم . . العرض الحادى عشر .
الفتى : (هازئا) لو لى لا بم .
الطبيب : هذيان لفظى . . العرض الثانى عشر .
الفتى : سيدى الطبيب ، ألم تعالج فى حياتك رجلا من أصحاب النفوذ؟
الطبيب : حصل .
الفتى : وهل صارحته بما تصارحنى به الآن؟
الطبيب : كلا .
الفتى : وكيف تصرفت معه؟
الطبيب : تجنبت ذكر أى عرض يسىء إليه .
الفتى : ولكنك عرضت حياته للخطر؟

الطبيب : هذا على أى حال خير من تعريض حياتى للخطر!

الفتى : أليس ذلك بعرض من أعراض الوباء؟

الطبيب : بلى!!

الفتى : إذن فأنت مصاب أيضا .

الطبيب : طبعا لم يسلم من الوباء أحد!

الفتى : ألا تتداوى من الداء؟

الطبيب : بنفس الدواء الذى سأصفه لك .

الفتى : وهو؟

الطبيب : إنه دواء واحد لا بديل له ، وهو أن تسير إذا سرت على يديك ، أن تسمع بعينيك ، أن ترى بأذنيك ، أن تتذكر بعقلك ، وأن تعقل بذاكرتك .

الفتى : يا له من دواء غريب وشاق!

الطبيب : ولكنه ناجح وفعال ومجرب!

الفتى : شكرا لك .

الطبيب : عفوا آن لى أن أذهب .

الفتى : مصحوبا بالسلامة .

(الطبيب يتجه نحو الناحية اليسرى. صوت القهقهة الساخرة يرتفع، الطبيب يتوقف عن السير. يستدير ذاهبا إلى الناحية التى جاء منها ويختفى)

الفتى : آن لهذا الصوت الكريه أن يخمد ، ولا حل إلا أن أؤدبه . .

صوت من الجهة اليمنى: بل يوجد حل آخر .

(يدخل رجل عملاق بادى الاعتداد بالنفس مبتسما بمودة)

الفـــــتى : من أنت؟
العـــمـــلاق : صـــديق .
الفـــــتى : ولكنى لا أعرفك .
العـــمـــلاق : نحن فى عالم لا نعرف إلا أعداءنا .
الفـــــتى : ولكنى لم أرك من قبل .
العـــمـــلاق : ها أنت ترانى ، وفى هذا الكفاية .
الفـــــتى : لا حول ولا قوة إلا بالله .
العـــمـــلاق : تذكر هذه اللحظة جيدا فسوف تؤرخ بها السعادة فى عمرك .
الفـــــتى : ومـــاذا تريد؟
العـــمـــلاق : أن أســاعدك .
الفـــــتى : فى أى شىء؟
العـــمـــلاق : فى قهر عدوك .
الفـــــتى : ولكنى لم أطلب مساعدة أحد .
العـــمـــلاق : وهذا يجعل من تقدمى إليك سلوكا جديرا حقا بالصداقة!
الفـــــتى : ومن الذى أرسلك؟
العـــمـــلاق : قل إنها العناية الإلهية .
الفـــــتى : هذه إجابة عامة ولا تشفى .
العـــمـــلاق : إذن اعتبر أننى جئتك بحكم وظيفتى .
الفـــــتى : وما وظيفتك؟
العـــمـــلاق : أن أقيم ميزان العدالة .
الفـــــتى : ومن قلدك هذه الوظيفة؟
العـــمـــلاق : الفرد هو الذى يختار الوظيفة التى تناسبه .

الـفــــــتـى : ولكننى لم أسألك المعونة .

العـــمـــلاق : ربما لأنك لم تكن تعلم بوجـودى على كـثب منك . وربمـــا . .

الـفــــــتـى : وربمـــا؟

العـــمـــلاق : وربما لأنك تبالغ فى تقدير قوتك .

الـفــــــتـى : هذا شأنى على أى حال .

العـــمـــلاق : كــلا .

الـفــــــتـى : كـلا؟ !

العـــمـــلاق : إنه يدخل ضمن اختصاص وظيفتى ، علىّ أن أنقذك ولو من نفسك .

الـفــــــتـى : ولكن مرجع الأمر فى النهاية إلىّ أنا .

العـــمـــلاق : ويرجع إلىّ بحكم وظيفتى .

الـفــــــتـى : إنى أشكرك ، أرجو ألا تغالى فى اختصـاص وظيفتك . ثمـة رجل وقح اعـتـدى علىّ ، ولا مـفـر من أن أؤدبه بنفسى . .

العـــمـــلاق : ولكنه يفوقك قوة ، ولا دافع لشره سواى . .

الـفــــــتـى : لست فى حاجة إلى مساعدتك .

العـــمـــلاق : بل إنك فى مسيس الحاجة إليها :

الـفــــــتـى : أكـرر الشكر ، ولكننى لا أعـرفك ولا تـربطنى بك صلة حقيقية .

العـــمـــلاق : إنى جـزء لا يتـجـزأ من المكان ، لى فـيـه رزق وصـهـر ، وتربط أسرتى بأجدادك أواصر مودة قديمة .

الـفــــــتـى : أجدادى؟ ! . . إنى أشك فى ذلك .

العـــمـــلاق : من أين لك هذا الشك؟

الفتى : إنى أعرف من كانوا على صلة بهم . .

العملاق : لابد أن تفوتك معرفة البعض، وأسرتى كانت ضمن ذلك البعض .

الفتى : حتى لو صح ذلك فإننى لا أعتبره ملزما لى بقبول مساعدتك .

العملاق : إنى أذكر ذلك التاريخ باعتباره مسوغا للقبول لا ملزما له !

الفتى : إذن لا إلزام هناك . .

العملاق : أما الإلزام فيجىء من طبيعة وظيفتى .

الفتى : إنى أرفض مبدأ الإلزام . .

العملاق : عجيب أن تقف هذا الموقف العنيد من مساعدة تهبط عليك من السماء . .

الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علىّ ردها .

العملاق : لن تستطيع ذلك وحدك .

الفتى : هذا لا يعنيك فى شىء .

العملاق : بل هو كل شىء عندى، هو وظيفتى فى الحياة .

الفتى : لا شأن لى بوظيفتك .

العملاق : لا تجعلنى أشك فى قواك العقلية .

الفتى : انصرف من فضلك ودعنى أتصرف كما أشاء .

العملاق : فكر . . فكر طويلا . . لا ترفض هبة العناية الإلهية .

الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علىّ ردها .

(الفتاة ترجع وتتخذ مكانها بين الرجلين)

(العملاق يحنى لها رأسه فترد التحية)

العملاق : لى عظيم الشرف بلقاء ربة الدار .

الفـــتـــاة : شكرا يا سيدى .
العـــمـــلاق : كنت أذكـره بالصلة القـديمة التى ربطت بين أســرتى وأجداده .
الفـــتـــاة : سمعت كل شىء!
العـــمـــلاق : إنه ينكر تلك الصلة .
الفـــتـــاة : لا يمكن إنكار أى صلة قديمة أو حديثة .
العـــمـــلاق : مرحبا بصوت الحكمة .
الفـــتـــاة : كن رفيقا به فهو غاضب .
العـــمـــلاق : ألا يحق لى أن أتمسك بأداء وظيفتى؟
الفـــتـــاة : مباركة الوظيفة التى تصون الحياة . .
العـــمـــلاق : مرحبا بصوت الحكمة .
الـفـــــتـى : (مخاطبا الفتاة) . . مؤامرة!
الفـــتـــاة : معـــاذ الله .
الـفـــــتـى : مـؤامـرة .
الفـــتـــاة : افتح له صدرك .
العـــمـــلاق : أشكرك يا صوت العقل .
الـفـــــتـى : (للفتاة) إنى أطالبك بالاحترام .
الفـــتـــاة : قلبى ملئه الاحترام والحب .
العـــمـــلاق : لم تعاند محبيك؟
الـفـــــتـى : الحب قد يدفع إلى الهلاك .
الفـــتـــاة : الحب لا يتعامل إلا مع الحياة .
الـفـــــتـى : إنى أطالبك بالانسحاب .
العـــمـــلاق : غريب أن تعامل الجمال والحكمة بهذه الفظاظة .
الـفـــــتـى : (للعملاق) لا تتدخل فى شئونى الخاصة .

العـــمـــلاق : سـمعا وطاعـة .

الفـــتـــاة : إنى ذاهبة ما دمت ترغب فى ذلك ، ولكنى أتوسل إليك أن تفتح له صدرك .

(الفتاة تذهب)

(فترة صـمت يتبادل فيـها الرجلان النظرات، العمـلاق باسما والفتى غاضبا).

العـــمـــلاق : الجو أصبح أصلح للمناقشة .

الـفـــتـى : ألم تستنفد المناقشة؟

العـــمـــلاق : كلا بعد ، افتح لى صدرك ، واتخذ بعد ذلك قرارك .

الـفـــتـى : (يتنهد صامتا) .

العـــمـــلاق : أريد أن أساعدك .

الـفـــتـى : خبرنى صراحة عما تريد ثمنا لذلك؟

العـــمـــلاق : إنى صديق ولست بتاجر .

الـفـــتـى : حدثنى عما تريد .

العـــمـــلاق : لا شىء ألبتة .

الـفـــتـى : ألبتــة؟

العـــمـــلاق : إلا ما تتطلبه ظروف العمل طبعا .

الـفـــتـى : ظروف العمل؟

العـــمـــلاق : لكى أؤدب عدوك فلابد من استدراجه إلى هنا .

الـفـــتـى : إلى مكانى هذا؟

العـــمـــلاق : نعــم .

الـفـــتـى : لا يجـوز أن يدنس مقامى بقدمه .

العـــمـــلاق : لا تعط المكان أهمية أكثر مما يستحق .

الـفـــتـى : (مشيرا إلى المصطبة) إنه مقامى مذ كان مقاما لهؤلاء .

العـــمـــلاق : ولا تعط للأموات أهمية أكثر مما يستحقون .

الـفــــــتـى : إذن هذا هو رأيك عن الأجداد؟

العـــمـــلاق : إن باطن الأرض مليء بالعظام وهيهات أن تعرف أين عظام أجدادك بينها .

الـفــــــتـى : هذا رأى من لا أصل له .

العـــمـــلاق : لا تغضب . . ما أردته هو أن أبين لك خطتى فى العمل .

الـفــــــتـى : ولم لا تذهب إليه حيث يقهقه؟

العـــمـــلاق : إنى أعرف ما أريد .

الـفــــــتـى : سأجاريك فى أفكارك فهل إذا وافقت على رأيك تشرع فى العمل؟

العـــمـــلاق : ولكن ليس هذا بكل شىء .

الـفــــــتـى : ثمة شروط أخرى؟

العـــمـــلاق : لا تردد كلمة «شروط» فما أبغضها فى مقام الصداقة .

الـفــــــتـى : طيب . . ماذا تريد أيضا؟

العـــمـــلاق : فى فترة التأهب للمعركة أحتاج لرعاية خاصة .

الـفــــــتـى : مثال ذلك؟

العـــمـــلاق : تقدم لى الطعام والشراب والترفيه الضرورى .

الـفــــــتـى : جميل ، ولكن يخيل إلى أن مطالبك لم تنته بعد؟

العـــمـــلاق : ما أجمل أن تدعو الفتاة الجليلة لمجالستنا !

الـفــــــتـى : فتـاتى؟

العـــمـــلاق : إنها قلب كبير يتسع للجميع . .

الـفــــــتـى : ولعله يتسع أيضا لعدونا المشترك؟

العـــمـــلاق : أعنى أننى فى حاجة إلى الحنان قبل المعركة .

الـفــــــتـى : ومـاذا أيضا؟

العملاق : بما أننى سأكون يدك عند الحاجة فمن الإنصاف ألا تتورط فى فعل قبل مشاورتى . .

الفتى : منطق سديد!

العملاق : ولا أن تصادق شخصا قبل موافقتى فقد يكون لى عدوا .

الفتى : واحد وواحد يساويان اثنين .

العملاق : ولا أن تعادى شخصا قبل الرجوع إلىّ فقد يكون لى صديقا .

الفتى : من يجادل فى ذلك؟

العملاق : هل نبدأ؟

الفتى : أود أن أسألك سؤالا ، هل يمكن أن يفعل بى عدوى أكثر من ذلك؟

العملاق : (مستنكرا) ولكن الفعل يتغير معناه بتغير فاعله .

الفتى : فاعله؟!

العملاق : قبلة من زوجك غير قبلة من بنت هوى، وصفعة من والدك غير صفعة من غريب!

الفتى : وأنت تعتبر نفسك الوالد والزوجة لى؟

العملاق : بدأنا نتفاهم فيما أعتقد .

الفتى : (غاضبا) اغرب عن وجهى .

العملاق : ماذا جرى لك؟

الفتى : اذهب . . اذهب بلا تردد .

العملاق : أين أذهب؟

الفتى : ابعد عن مقامى .

العملاق : ولكنه مقامى أنا أيضا .

الفـــــتى : ماذا قلت؟

العـــمـــلاق : يا سيدى، مضى وقت طويل ونحن نتبادل الحديث، وقت يعطينى الحق فى الإقـامـة، وبالإضـافة إلى ذلك نشأت علاقة إنسانية صميمة مع فتاتك الحكيمة، بل مع هؤلاء الأجداد أنفسهم..

الفـــــتى : أنت بلطجى..

العـــمـــلاق : فليسامحك الله.

الفـــــتى : اذهب بعيدا، لا أريد مساعدتك، وسألقى عدوى وحدى..

العـــمـــلاق : عليك فى هذه الحال أن تقاتل اثنين!

الفـــــتى : كيف؟

العـــمـــلاق : إنك تناصبنى العداء وسأضطر إلى الدفاع عن نفسى..

الفـــــتى : تهاجمنى لأننى أرفض مساعدتك؟

العـــمـــلاق : لأنك تريد أن تطردنى من مقامى وتعطل وظيفتى الأساسية فى الحياة.

الفـــــتى : لا تستهن بى، لست عملاقا مثلك، ولكننى مصمم على منازلة الموت نفسه.

العـــمـــلاق : ما دمت تريد الموت فلتمت.

الفـــــتى : سأموت إذا مت وأنا أقاتل.

العـــمـــلاق : إذن فلتقاتل ولتمت.

(تعود الفتاة مسرعة)

الفـــــتـــــاة : أردت أن تفتح صدرك للتفاهم لا للموت.

الفـــــتى : إنه شر من الآخر.

العـــمـــلاق : إنه أحمق.

الفـــــتى : إنه من النوع الآخر ولكنه شر منه .

الفـــتـــاة : يا للأسف .

الفـــــتى : لا منفذ إلى حياة طيبة مع وجودهما .

الفـــتـــاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد؟

الفـــــتى : عندما يختفيان هما وأمثالهما .

الفـــتـــاة : كلام قديم معاد .

الفـــــتى : ولكنه حـــق .

الفـــتـــاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد؟

العـــمـــلاق : إنى أردد هذه الكلمة المنشودة ولا من سميع .

الفـــتـــاة : (للعملاق) ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة بلا شروط؟

العـــمـــلاق : إنى أبغض كلمة «شروط» .

الفـــتـــاة : ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة دون أن تطالب بشىء؟

العـــمـــلاق : لن يكون هذا من العدل فى شىء . .

الفـــتـــاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد . .

(صوت القهقهة الهازئة يترامى من بعيد)

(العملاق ينصت إلى الصوت باهتمام ودهشة)

العـــمـــلاق : رباه . . إنى أعرف هذا الصوت .

الفـــتـــاة : إنه صوت عدوه .

العـــمـــلاق : عـــدوه!

الفـــتـــاة : نعـــــم .

العـــمـــلاق : يا لعجائب المصادفات!

الفـــتـــاة : هـذا هـو الرجل الذى قصدت بتقديم مساعدتك القضاء عليه .

العـــمـــلاق : ها . . ها . . ها .

الفـــتـــاة : ماذا يضحكك؟

العــمــلاق : إنه قريبى من ناحية الأم!

الفـــتـــاة : قريبك؟!

العــمــلاق : نعم. . يا لذكريات الطفولة السعيدة التى لا تنسى!

الـفـــتـى : ظننتك تعرف العدو الذى جئت متطوعا لضربه.

العــمــلاق : ها. . ها. . ها.

الـفـــتـى : ألا زلت عند رأيك فى مساعدتك؟

العــمــلاق : ولكنك رفضت مساعدتى!

الـفـــتـى : هبنى قبلتها فهل تقدمها؟

العــمــلاق : مع كافة الشروط التى اشترطتها؟

الـفـــتـى : لكنك تبغض كلمة «شروط»؟

العــمــلاق : نعم أم لا؟

الـفـــتـى : نعـم.

العــمــلاق : فى هذه الحال ألعب دور رسول السلام بينكما.

الـفـــتـى : رسول السلام؟

العــمــلاق : إكراما لهذه الفتاة الحكيمة، ولك.

الـفـــتـى : وتعهداتك السابقة؟

العــمــلاق : للقـربى حقـوق، وإنى لا أوفيهـا حقهـا الكامل بموقفى هذا. .

الـفـــتـى : ولكنه هو المعتدى؟

العــمــلاق : ولـــو!

الـفـــتـى : وهو فى الأصل قاطع طرق ليس إلا؟

العــمــلاق : ولـــو!

الـفـــتـى : إنه وحش ذميم.

العــمــلاق : إنك لا تراه على حقيقته .
الـفـــتـى : ألم تسمع قهقهته الساخرة؟
العــمــلاق : هذه هى طريقته فى المزاح ، يا له من شاب خفيف الروح حقا !
الـفـــتـى : ولكنى أعرفه حق المعرفة ، من خلال المعاملة والجوار والصراع عرفته .
العــمــلاق : صدقنى إنه لا يكشف عن مكنون كنوزه إلا لمن يحبه ويفهمه .
الـفـــتـى : بل لا تلين عريكته إلا لمن يشكمه بالتأديب والضرب .
العــمــلاق : أحمد الله على أنك لم تتمكن من ضربه .
الـفـــتـى : ولـم؟
العــمــلاق : كنت سأهرع إلى نجدته .
الـفـــتـى : ها أنت تهددنى .
العــمــلاق : للقرابة حقوق .
الـفـــتـى : تجلت الحقيقة ، فما أنت إلا بلطجى كقريبك .
العــمــلاق : يا له من تفكير خليق بأن يقود إلى الهلاك .
الـفـــتـى : لا تضيع وقتى هباء .
العــمــلاق : تصرف بوقتك كما تشاء .
الـفـــتـى : سأسوى حسابى بنفسى .
العــمــلاق : أنت تعلم أن هذا الكلام لا معنى له ، وقد وضحت لك أهداف وظيفتى . .
الـفـــتـى : اللعنـة !
العــمــلاق : إنى صديقك أردت أم لم ترد ، وإنى قريبه قبلت ذلك أم لم تقبله ، وأنا أكبر منكما سنا وأعظم قوة ، فواجبى أن

أجمع بين ثلاثتنا بعهد صداقة دائمة جديرة بهذا المكان الذى يؤاخى الأحياء والأموات أنفسهم.

الفـتى: كلام طيب ونية لئيمة وفعل غشوم..

العملاق: (مخاطبا الفتاة).. تكلمى أنت.

الفتاة: لم يعد عندى من جديد أقوله.

الفـتى: اعترفى بأننى على حق.

الفتاة: أعترف بأنه لا يهمنى فى هذا الوجود إلا الحب.

العملاق: كم أنك حكيمة!

الفـتى: كم أنك أنانية.

الفتاة: الحب عطاء بلا حدود ولا نهاية.

الفـتى: الوحش يأخذ ولكنه لا يعرف العطاء.

الفتاة: ليتك تؤمن بالحب.

الفـتى: لا حياة للحب بين الوحوش.

الفتاة: الحب أقوى قوة فى الوجود بيد أنه سلاح لا يسلس إلا لمن يؤمن به.

الفـتى: للوحوش لغة أخرى.

الفتاة: أخشى أن تنقلب وحشا مثلهم.

الفـتى: الكرامة أهم من الحياة نفسها.

الفتاة: الفضائل الحقيقية ثمار لا تنبت إلا فوق شجرة الحب..

العملاق: (مخاطبا الفتى).. من المؤسف أنك تحب الموت أكثر مما تحب فتاتك الجميلة الحكيمة.

الفـتى: الموت أحب إلىّ من الخضوع لإرادتك.

(القهقهة الساخرة تترامى من بعيد).

العملاق: يا له من فتى ضحوك، يحب المزاح بقدر ما يحب الحياة الآمنة!

الفـــــتى : إنك لئيم بقدر ما أنت قوى .
العـــمـــلاق : أمـامك عـمـلاقان، ووراءك حيـاة طيبـة، فارجع إلى الوراء .
الفـــــتى : إلى الأمام .
العـــمـــلاق : (للفتاة) أقترح أن ندعه لنفسه ليفكر بهدوء فإن الجدل يغريه بالعناد والمكابرة .

(العـملاق والفـتاة يخـرجان من بابين مـتقـاربين فى الناحيـة اليمنى)..

(الفتى يتفكر قليلا.. ينظر ناحية المصطبة المسربلة فى الظلام).

الفـــــتى : آن لكم أن تنطقوا .
الصـــــدى : تنطقـــوا .

(الفـتى يلوح بيده غـاضبـا.. يذهب ويجىء متـفكرا.. يدخل رجل أعمى يتحسس طريقه بعـكاز، يتصنت مائلا برأسه نحو الفتى)

الشـــحـــاذ : هل يوجد أحد هنا؟
الفـــــتى : نعـــم .
الشـــحـــاذ : أنت الذى ناديتنى؟
الفـــــتى : كـــلا .
الشـــحـــاذ : لكنه صوتك وأذنى لا تخطئ .
الفـــــتى : خبرنى عما تريد .
الشـــحـــاذ : ماذا تريد أنت؟
الفـــــتى : ألست شحاذا؟
الشـــحـــاذ : بـــلى .
الفـــــتى : لعلك تريد إحسانا؟

الشـــحـــاذ : رزقت اليوم بما فيه الكفاية ، فماذا تريد أنت؟
الـفـــــتـى : لا أريد شيئا .
الشـــحـــاذ : كـــذب!
الـفـــــتـى : شحاذ ووقح .
الشـــحـــاذ : لم تشتمنى؟
الـفـــــتـى : كيف تجرؤ على رميى بالكذب؟
الشـــحـــاذ : لأنـك كـذاب!

(الفتى يرفع يده ليضربه ولكنه يتراجع أمام عجزه)

الـفـــــتـى : اذهب قبل أن أكسر رأسك .
الشـــحـــاذ : لا أذهب حتى أعرف لماذا ناديتنى؟ وماذا تريد منى؟
الـفـــــتـى : اذهب أحسن لك .
الشـــحـــاذ : ليس قبل أن أعرف ماذا تريد .
الـفـــــتـى : (ساخرا) وهل عندك ما تعطيه؟
الشـــحـــاذ : اطلب ما تشاء .
الـفـــــتـى : (ضاحكا رغـما عنـه) إنى مـدين لـك بأول ضحكـة فى يومى .
الشـــحـــاذ : هذا قليل من كثير مما عندى .
الـفـــــتـى : يخيل إلىّ أنك غنى .
الشـــحـــاذ : جـدا .
الـفـــــتـى : ماذا تملك؟
الشـــحـــاذ : عالم الظلام الذى لا نهاية له .
الـفـــــتـى : أنت خفيف الروح رغم سلاطة لسانك ، وكان ينبغى أن تجد ملجأ يؤويك .
الشـــحـــاذ : التحقت ذات يوم بملجأ .

الفـتـى : ولم تركته؟

الشـحـاذ : رُفِـتُّ!

الفـتـى : (ضاحكا) أسمع أول مرة عن رفت الشحاذين!

الشـحـاذ : كان ناظر الملجأ فظا غليظا ولصا لا حياء له .

الفـتـى : وتوقع أن تسبحوا بحمده على أى حال؟

الشـحـاذ : ولكن بعضنا تمرد وكنت على رأس المتمردين!

الفـتـى : وفضلت أن تهيم على وجهك بلا مأوى؟

الشـحـاذ : نعـم .

الفـتـى : ولكن أليس الملجأ بكل عيوبه أفضل من التسول والتشرد؟

الشـحـاذ : الحرية أفضل من الأمن نفسه!

الفـتـى : يخيل إلى أنك شحاذ مثقف!!

الشـحـاذ : أعرف أشياء كثيرة .

الفـتـى : مثل مـاذا؟

الشـحـاذ : أن أرى بأذنى .

الفـتـى : ومـاذا أيضـا؟

الشـحـاذ : وأن أسير على يدى!

الفـتـى : أنت ترى بأذنيك وتسير على يديك!

الشـحـاذ : وصادفنى فى تجوالى بعض الرسميين فقادونى مرة أخرى إلى الملجأ .

الفـتـى : إلى الوحش؟

الشـحـاذ : كلا ، كان قد خلفه ناظر جديد عادل وأمين ورحيم . .

الفـتـى : وكيف تركته بعد ذلك؟

الشـحـاذ : هـربت!

الـفـــــتـى : غير معقول .

الشـــحـــاذ : كان عادلا وأمينا ورحيما ولكنه مغرم بالنظام لدرجة الهوس، ويطبقه بدقة فلكية، ولا يقبل مراجعة . .

الـفـــــتـى : ولكنك نعمت بالغذاء والكساء والراحة والنظافة . .

الشـــحـــاذ : الأكل بميعاد والشرب بميعاد و«ولا مؤاخذة» بميعاد والنوم بميعاد، فكدت أن أجن . .

الـفـــــتـى : وتمردت مرة أخرى؟

الشـــحـــاذ : حتى التمرد حرمت منه فلم يطاوعنى ضميرى على التمرد على رجل عادل أمين رحيم .

الـفـــــتـى : كان عليك أن ترضى . .

الشـــحـــاذ : حتى التمرد حرمت منه!

الـفـــــتـى : التمرد ليس خيرا فى ذاته .

الشـــحـــاذ : ولكنه خير من أن تكون حجرا .

الـفـــــتـى : وهكذا هربت؟

الشـــحـــاذ : هكذا هربت .

الـفـــــتـى : إلى التراب والحشرات واللقمة العفنة!

الشـــحـــاذ : إلى سعادتى الحقيقية .

الـفـــــتـى : حديثك مثير وعجيب .

الشـــحـــاذ : فتك بعافية .

(الشحاذ يتحرك)

الـفـــــتـى : انتظـــر . .

(الشحاذ يستمر فى سيره)

الـفـــــتـى : ألا تريد أن تسمعنى؟

(يمضى الشحاذ حتى يختفى)

(يعود العملاق.. تعود الفتاة)

الفـــتـــاة : قلبي طيلة الوقت معك .

العـــمـــلاق : لعلك اقتنعت برأيي .

الـفـــتـى : أيها السيد الذى يحب الشر ، ويحب الخير أحيانا لحساب الشر .

أيتها السيدة التى تحب الخير ، وتحب الشر أحيانا لحساب الخير .

إليكما رأيي النهائى .

سأصون كرامتى حتى الموت .

الفـــتـــاة : (تخفى وجهها بين يديها وستظل كذلك إلى ما قبل النهاية)

العـــمـــلاق : شعار الوباء الذى فتك بملايين الحمقى . .

الـفـــتـى : ينابيع الحياة الحقة مهددة بالجفاف ، أشواق القلب الخالدة يساومها الضياع ، سحقا للوحشة التى تذبل فيها معانى الأشياء ، إنى ذاهب . .

(القهقهة الساخرة ترتفع)

(الفتى يتحول نحوها فى تصميم ويتقدم. العملاق يثب نحوه. الفتى يدفعه. العملاق يقبض على كتفيه ويدفع به نحو المصطبة. الفتى يندفع حتى يغيب فى الظلمة، الفتى يرتد كأنه كرة ارتطمت بجدار منقلبا على وجهه ثم يقف مترنحا.

وكأن حركته أيقظت الرقود وشدتهم من رقادهم. يتدحرج أولهم حتى يصل إلى مقدم المسرح وينهض فى تثاقل كمن يقوم من نوم. يتبعه آخر مكررا نفس الحركة. ويتتابع كثيرون. رجالا ونساء مكررين نفس الحركات حتى يكتظ بهم المسرح.

العملاق يتزحـزح رويدا رويدا حتى يغيب فى المدخل المفضى إلى القهقهة الساخرة.

تتم يقظة الجميع. تنتصب قامتهم. يرتسم العزم فى وجوههم. يجرى ذلك فى تمثيل صامت. يسيـر الفتى نحو ناحيـة عدوه وهو يضرب الأرض ضربات مسموعة منتظمة. يمضون خلفه فى عزم صلب حتى يختفوا جميعا. ضربات أقدامهم ما زالت تترامى)

الفـــــتـــــاة : (ترفع يديها عن وجههـا.. تصغى بحزن.. وترمى بنظرها إلى بعيد).